

الصوت: إشكالية التعريف والتصنيف

Sound: the problem of definition and classification.

د. ماهر عباس حسن الهلالي*

جامعة تونس (تونس)

alhilalimaher@yahoo.com

ملخص: (لا يتجاوز 10 اسطر)	معلومات المقال
تعتبر الأصوات مكونا أساسيا في الحياة الاجتماعية والثقافية، ذلك ما يدعونا إلى الاستماع إلى الأصوات المختلفة عن بعضها البعض من حيث المصدر والنوع والعمل على جمع المعلومات حولها، حيث أنه لا بدّ من معرفة مصادرها وأثارها على المتلقي، وإلا فإنّ البعض منّا سيعتبرها ضجيجا، بالإضافة إلى أنّه يجب أن يكون لدينا حد أدنى من المعارف حول الأصوات الموجودة في محيطنا وفي ثقافتنا على الأقل، بحيث تمكّننا من التّعرف عليها والتّمييز بينها والاستفادة منها. وفي هذه المقالة تمكّننا من تعريف الصوت في الحضارات الاولى حيث كان ولا زال الصوت لغة ورمزا وحقيقة في حياة الانسان.	تاريخ الإرسال: 2024/06/03 تاريخ القبول: 2024/10/22 الكلمات المفتاحية: ✓ الصوت ✓ الرّمز ✓ اللّغة ✓ الانسان ✓ الثقافة
Abstract : (not more than 10 Lines)	Article info
Sounds are an essential component of social and cultural life, which prompts us to listen to sounds that differ from each other in terms of source and type and work to collect information about them, as it is necessary to know their sources and effects on the recipient, otherwise some of us will consider them noise, in addition to the fact that we must have a minimum level of knowledge about the sounds present in our environment and in our culture at least, so that we can recognize them, distinguish between them and benefit from them. In this article, we were able to define sound in the first civilizations, where it was and still is Sound is a language, a symbol and a reality in human life.	Received 2024/06/03 Accepted 2024/10/22 Keywords: ✓ Voice ✓ Symbol ✓ Language ✓ Human ✓ Culture

3- متى يكون للصوت معنى؟

1. الصوت في الحضارات الإنسانية الأولى:

1.2 تعريف الصوت:

الصوت "هو الوسيلة الأولى التي تمكن الإنسان من تحديد مقاييسه ونقاطه المرجعية الأولى، وكذلك اكتساب تجاربه الحسية الأولى" (الزواوي، الموسيقى والدماغ، رحلة الصوت داخل الجهاز العصبي، 2023)، ويعتبر الصوت من الظواهر الفيزيائية التي زادت أهميتها وتضاعف الاهتمام بها مع بداية حياة الإنسان حيث "احتل الصوت أهمية بالغة منذ الحضارات الإنسانية الأولى فهو الرابط بين الإنسان والآلهة وبين الأرض والسماء وبين الحياة والموت" (الزواوي، الموسيقى والدماغ رحلة الصوت داخل الجهاز العصبي، 2023)، وقد توصل العلماء إلى أنّ "المرض سببه اختلال في المادة الصوتية لدى الإنسان" (Shchneider, 1960)، كما لا زالت بعض القبائل والأقليات تستخدم الصوت في طقوسها الهادفة إلى طرد الأرواح الشريرة عبر المعالج الروحاني أو الشامان¹ (shaman) (STRAUSS, 1984) على غرار ما يحدث من طقوس علاجية في فن الزّار لدى بعض القبائل الأفريقية في السودان وأيضاً في المنطقة الخليجية مثل منطقة الباطنة في سلطنة عُمان (الهاللي، 2023). فنجد أصوات الإيقاع

مقدمة: يمكن للإنسان أن يستسيغ الاصوات في الكون شريطة توفر آليات تقنية وهو ما يطرح إشكاليات إبستمولوجية أخرى، تتعلّق بالبحث في الفرق بين الصوت المنعم والصوت الذي ينتج عند الكلام أو عند ضرب شيء بشيء آخر، والصوت الصادر عن أشياء طبيعية، ومدى تحمله للخطاب ولهذا نحن موجودون هنا للبحث في هذا الغموض للإجابة على تساؤلات وطرح أخرى لمجرد الحديث عن الصوت يعني أنه موجود ومصادر الصوت ومصنّعيه من المتخصّصين وغير المتخصّصين كائنة وهنا يتبادر لأذهاننا السؤال التالي:

كيف لغير المتخصصين في الصوت أن ينتجوا صوتاً؟ وهل بإمكانهم معرفة الخصائص الفيزيائية واللغوية للأصوات الموجودة في محيطهم؟، وهل أنّهم إذا أنتجوا أصواتاً تكون مستساغة أم ماذا؟ ذلك ما نسعى للإجابة عنه من خلال هذه المقالة.

فالمتعارف عليه أنّ الموسيقيين هم الذين يبدعون وينتجون أصواتاً موسيقية ولكن في الكون الذي نعيش فيه نلاحظ أنّه ليس فقط الموسيقيون هم من يصنعون الصوت بل الجميع بإمكانهم صناعة الصوت، ولكن هناك مجموعة من العلوم وجب أن تكون موجودة من أجل أن تكتمل العملية. إنّ الجميع لهم الحق في الكلام حول الصوت كلّ بناء على دائرة ادراكه وما يعرفه حوله.

وللمضي قدماً في هذا البحث كان من الضروري الإجابة على الأسئلة الإشكالية التالية:

1- ما هو الصوت؟

2- ماهي أنواع الأصوات؟

¹ الشّمانية، (CHAMANISME)، ظاهرة دينية تعتمد على الشّمان الذي يمتلك قوة خارقة في الاتصال بالعالم الروحي وشفاء المرضى، للمزيد راجع الموقع الالك تروني. <http://www.Larousse.Fr/encyclopédie/divers/chamanisme/32583>.

"وَأَعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ" (لقمان، الآية 19)، يشير إلى وجود أصوات في هذا الكون، وإذا كان فيها ما هو مُنْكَرٌ كصوت الحمير فلا ريب أن هناك أصوات ندية مستساغة تألفها المسامع والقلوب، لذلك يمكننا القول أنّ للأصوات أسرار، وقد أخذنا على عاتقنا في هذه المقالة الكشف عن هذه الأسرار وإزاحة بعض من الضبابية. العنوان الفرعي الثاني، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الثاني.

3. الصوت حدث فيزيائي:

الصوت هو موجة يحدثها الاهتزاز الميكانيكي لجسم صلب أو سائل أو غازي، وهو الجزء المسموع من طيف $(Spectre)^2$ ، الاهتزازات الصوتية تماماً مثل الضوء هو الجزء المرئي من طيف الاهتزازات الكهرومغناطيسية وبما أن الصوت ليس وحدة أكوستيكية فقط بل هي حدث اجتماعي باعتباره صدر داخل المجتمع ومن ينتج الصوت هو الانسان إذن فهي تعبيره ثقافية تخضع إلى خصوصية وتعبر عن الهوية وهو ما يدعم قولنا "أنّ العلاقة التجاذبية بين الأصوات هي التي تعطي النظام الموسيقي وهي عملية تصرف في الأصوات وذلك بالتنسيق والترتيب، ذلك ما يدلّ على أنّ الصوت الموسيقي، علمياً هو وحدة صوتية فيزيائية، وهو وحدة ثقافية حاملة للثقافة، وبالنظر إلى من أنتجه يمكن القول أنّه وحدة اجتماعية من إنتاج المجتمع، وهي وحدة نفسية حاملة لحالات نفسية ناتجة عنها" (الهلالي م، 2024)

والانشاد في تلك الطقوس تمتزج مع العناصر الثقافية والعقائدية، لتفرز لنا ظاهرة علاجية تمارس وفق طقوس وأنظمة محددة حسب الزمان والمكان، فيمثل الصوت هنا قوة يستخدمها الانسان لاستحضار الروح الحيرة القادرة على معالجة المريض والتخفيف من الأذى الذي يشتكى منه ولعل ما رصدناه في حلقة الزار بالممارسات الموسيقية في الثقافة الشعبية العمانيّة دليل على ذلك (الهلالي، 2023).

وقد تناولت العديد من الدراسات التحليلية موضوع الصوت في الممارسات الطقوسية التي اهتمت إليها الانسان في بداية في ظل غياب التقدم العلمي في مجال الطب.

2.2 الصوت في القرآن الكريم:

اخترنا الحديث عن الصوت في هذا الكون الذي نعيش فيه، نظراً لأهميته في حياتنا ومدى قدرته على التغيير والتأثير في طباعنا ونفوسنا، ذلك أن الصوت ليس صدفة وإنما هو سر وآية من آيات الله حيث يقول الله عز وجل في كتابه الكريم **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ** (الحجرات، الآية 2)، وفي هذه الآية تأكيد على عدم رفع الصوت فوق صوت النبي صلّى الله عليه وسلّم، **"وَأَسْتَفْزِرُ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ"** (الاسراء، الآية 64) ويقال أفره الخوف واستفزه أي أزعجه واستخفه، بصوته الداعي إلى معصية الله تعالى في ذلك إشارة إلى وجود أصوات ذات تأثير سلبي وأخرى ذات تأثير إيجابي وهو ما يدعم قولنا بوجود مسارات عصبية في جسم الانسان وباقي المخلوقات تحول الصوت إلى حركات فيزيولوجية وحالات نفسية تظهر لنا من خلال ما يديه المتلقي من تصرفات وسلوكيات ومشاعر نحو ذاته والآخر. وقوله تعالى في سورة لقمان من الآية 19

² نقل تعريفه الباحث عماد الزواري في كتابه الموسيقى والدماغ، وهو

الشيء الظاهر والمرتبط بحدث ما أمّا من الناحية الصوتية الفيزيائية فهو

رسم بياني ثنائي الأبعاد يمثل السعة (Amplitude)، والتردد

(Frequencies) للصوت... للمزيد راجع

<https://larousse.fr/dictionnaires/francais/spectre/74>

4. الصّوت حدث موسيقي:

يمكن أن يكون الصّوت تعبيرة موسيقيّة إذا أدركنا أن كل المواصفات المتمظهرة في حدث الكلام (الصندوق المصوت، الحروف، الطابع، الالتقاء، نوعيّة الأداء، الذبذبات...) تدل على أنّه موسيقى ولكن هل يعني ذلك أنّ الكلام هو فعل موسيقي.

أيضا الحديث عن أصوات الحيوانات على أنّها موسيقى معقول علميًا من حيث الذبذبات والمجال الصّوتي لهذه الأصوات وأنه مرتبط بسؤال مهمّ وهو: هل أن الحيوانات في تعبيراتها عندما أصدرت تلك الأصوات كانت تقصد بها الصّوت الموسيقي؟ التعم؟ بطبيعة الحال لا لأنّ الحيوانات لا تتمتع بنعمة العقل وهنا يمكن القول أنّ الفعل الموسيقي وعملية التصويت كلاهما يرتبط بالقصدية.

الحديث عن رنات الهاتف الجوال على أنّها موسيقى أيضا له معنى في الميزان العلمي ويجعلنا نطرح السؤال الاستيمولوجي الذي يعيد النظر في مفهومنا لمصطلح موسيقى، أيضا أليس اعتبار اصوات الضجيج موسيقى؟ وهل يمكن اعتبار النواح والعيول موسيقى؟ مجموعة من التساؤلات يطرحها المتخصصين في علم الموسيقى ويبحثون فيها.

إن الصّوت الموسيقي ثابت ومتحول، والبحث عن القياسات بين الأصوات يعطينا مشروعية السؤال عن ماهية الأصوات الموسيقيّة، كما يمكن أن نتساءل هل أن ما تم تأليفه قبل قرنين من أصوات يمكن اعتباره موسيقى؟ هل أنّ أصوات الحيوانات يمكن أن تكون موسيقى؟ ... كل ذلك يفتح الباب على مصراعيه للحديث عن وجود أنواع للصّوت، لذلك يمكن القول هناك أصوات موسيقيّة يقصد من إصدارها أنّها موسيقى مثل الأصوات التي نجدها في مؤلّفات الملحنين وأصوات يقصد منها

مؤثرات صوتيّة كتلك التي ترافق التمثيل على خشبة المسرح او في المسلسلات والأفلام والتي تسمى موسيقى تصويريّة. إنّ الصّوت الموسيقي هو عبارة على تركيب أصوات على أساس قواعد شريطة أن تكون جميلة يستساغ سماعها. وهذا التعريف نلاحظ أنّه لا يفي بالحاجة نظرا لاحتوائه على العديد من الاشكاليات.

ولما جاءت العلوم بمختلف فروعها، ومنها الموسيقىولوجيا في القرن 19 لتتحدّث عن الصّوت الموسيقي وتدرسه من خلال التجارب فكان اللقاء بين الصّوت والعلوم الانسانية والاجتماعيّة، والتي أكّدت أنّ الصّوت لا يمكن أن يبقى بمفرده ليعرف، بل لابدّ من وجود تفاعل بين المصوّت، الباحث، والمتلقّي أيضا فلا بدّ أن يكون هناك مؤرخين حيث هناك العديد من المؤرخين من غير المتخصصين في الصّوت الذين تحدّثوا عن الصّوت وعلماء الصّوت والنفس والاثار وغيرهم ولكن الاهم هنا أن يكون من المتخصصين في الصّوت من أجل اقامة العلاقات التفاعليّة بين الباحث والمتلقّي معلنة على تعدد الخطاب وعمق المعنى.

"لقد جاءت الموسيقىولوجيا لتنتقل الخطاب الموسيقي من سيطرة النّخبه الموسيقيّة الى العامة مع المحافظة على صفتها العلميّة"

5. الصّوت حدث لغوي يحتمل الرّمزيّة:

إذا رُمنا الحديث عن معنى الصّوت هنا كلغة في علم اللّسانيات الاختصاص الذي جاء في القرن 20 وهو مبني على اختصاص يسبقه وهو البنيويّة والتي اعطتنا نتائج وقتيّة أو كرمز في السيميولوجيا فهذا يعني أنّ الصّوت يريد أن تقول شيئا ما وهو ما يمكن أن يعني الكثير الذي ربما يعمّق فهمنا لهذا السرّ (الصّوت)، من خلال تلك الأصوات، والحديث عنه هو عبارة عن موقف. وهذا الموقف على حد قول مولينو مبني على إرجاع الدالّ إلى المدلول أو بدقة أكثر إرجاع إشارة إلى أخرى

الأصوات يشعر الانسان بالخوف والرعب، كما أن وجوده في مكان تملأه أصوات انفجارات عالية تزعجه وترعبه، لذلك الانسان يبقى بحاجة إلى الصّوت ولكن في حدود المعقول، أي لا بدّ من وجود شروط صحيّة ونفسية في الصّوت، منها ما هو موجود بقدرة الله في الطبيعة ومنها ما يجب أن يسعى الانسان لتوفيره بقدرة الله وعونه، في المحيط الذي يعيش فيه.

لذلك فإن التّواصل باستخدام الصّوت يتّخذ أنماطاً متعدّدة ومتغيّرة، تحكمها سياق تواصل محدد يتم تحت ظل مرجعية علميّة، اجتماعيّة وثقافية.

6. خاتمة:

إنّ الحدث الصّوتي كواقعة فيزيائية، فنيّة، لغويّة، ورمزيّة، لا وجود لتأثيره ولا لتمظهراته الشعريّة واللّحنيّة والايقاعيّة، إلا في إطار تلقّيه وتدوّقه وتحليله ومحاورته، لهذا ظهرت العديد من النّظريّات التّقديّة، التي وضعت المتلقّي نصب اهتماماتها، لكون فعاليّة وديناميكيّة الخطاب الصّوتي بمختلف أنواعه متعلّقة بمدى الأثر والانطباع الذي يتركه في نفسيّة المتلقّين، وقد اختلفت أسماء هذه النظريات، من الاستقبال إلى الاستجابة، إلى التلقّي، وتبقى العمليّة الابداعيّة كذلك مشتركة بين المبدع والذات المتلقّيّة، وهي التي نستشفّ من خلالها أنّ الصّوت خطاب يمكن أن يكون في أي شكل من اشكال الابداع الفنّي الذي ينتجه الانسان.

لذلك اعتبار الصّوت الناتج عن أي تعبيرة فنيّة موسيقي يرتبط بمدى وعي المتلقّي بمصطلح "موسيقى"، وهنا نعوّل على الوعي الموسيقي للمتلقّي في نجاح العمليّة التي بينهما وما تقوم عليه من حيث المبنى والمعنى ذلك أنّ المبدع في إنشائه يعتني بشكل ونوع المخاطب وحال الخطاب ومقامه، بقدر ما يضمن تحقيق المنفعة ونجاح الإبلاغ ليعلن في ذات الوقت عن نقطة البداية للبحث عن المعنى.

وهو ما تقوم عليه الاشارة وعليه لا يسع نقطة الانطلاق لسميائية أصيلة إلا أن تكون في تعريف للإشارة بمفهوم بيرسي (جان، 2014)³ "تمثيل شيء يمثل لأحد ما شيء ما ضمن علاقة ما أو تحت عنوان ما وهي تتوجه الى أحد ما يمكن أن تنشئ في ذهن ذلك الشّخص إشارة مماثلة وربما متطورة أكثر. وأدعوا هذه الاشارة التي ينشئها مفسرة للأولى فالإشارة تفسر شيئاً ما أنّه غرضها، وهي لا تمثّل هذا الشيء من جميع النّواحي بل بالرجوع إلى فكرة دعوتها أحيانا أساس التّمثيل" (Peirce, 1983) (1983)، ولعلّ عمليّة التدوّق هنا لها علاقة وطيدة بالباحث والمتلقّي هنا وفي هذا الصّدّد يمكننا أن نضيف إن الحديث في موضوع الصّوت كممارسة ابداعيّة يتطلب منا الدراية الكاملة والواعية بأن العمليّة الإبداعيّة الفنيّة عامة والصّوتيّة الموسيقيّة خاصة "تكتسب فعاليتها من تفاعل عناصرها الثلاثة المبدع، الخطاب، والمتلقّي (عيسى، 2016/2015)⁵.

إنّ الصّوت مهم في كينونة الحوار أيضاً، كما أنّ المشاركين في الحوار في حاجة ماسّة للصّوت بجميع تمظهراته ومعانيه حسب موضوع التّحاور بينهم، ومن أجل سير عمليّة التّخاطب بين الأشخاص يبقى الصّوت العنصر الأساسي رغم توفر العديد من البدائل مثل الإشارات والرموز، لأن الصّوت في حد ذاته علامة الوجود ورمز الحياة، فبمجرّد التّواجد في مكان يخلو من

مولينو (جان)، مراحل التأويليّة، ترجمة عبود كاسوحة، تبين للدراسات

الفكرية والثقافية، العدد الثامن المجلّد الثاني ربيع 2014، ص 184

⁴ Peirce, 2.228, la traduction est empreinte a PIERRE THIBAUT, La Notion peirceenne L'interprétant Dialectica, Vol 37, no.1, March 1983, p 6.

⁵ عيسى (حورية)، اطروحة الدكتوراه بعنوان الخطاب الادبي في التراث العربي بين تقنية التبليغ والية التلقّي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي جامعة وهران أحمد بن بلة، السنة الجامعية 2015-2016، ص 5.

وفي هذا الاطار أكد رولان بارت⁶ أنّ اللسانيات ليست جزء من علم الأدلة العام، ولكنّ الجزء هو علم الأدلة باعتباره أحد فروع اللسانيات ممّا يفترض أنّه فكر مُحكَّم بمنطق آليات اللغة لا غير وأنّ كلّ الدلالات تعود إلى اللغة التي بقدر تفرعها تنتج خطابا تتعدّد دلالاته ومعانيه.

إنّ الفكر الإنساني وما يفرزه من مقاربات نقدية وتحليلية حول كل أثر أو ممارسة فنية تحرك فيه مشروعية البحث عن الدلالة في الخطاب اللغوي بمختلف فروعها. ولا ريب أنّ وراء تعدّد مجالات التعبير حقولا دلالية يختصّ بها كلّ مجال، فلو لم تكن للغة رسالة لا يمكن أن يتمّ إيصالها إلّا عن طريق الخطاب اللغوي لما احتاج الإنسان إلى ابتكار أساليب التّخاطب الصّوتي، كما أنّ الرسوم والصّور وكلّ الابداعات المتّصلة بها، لم تكن لثبّتكر لو لم تكن حاملة لرسالة فريدة المعاني والمفردات والدلالات لا يتيسر لأية قناة من قنوات الاتّصال الأخرى بلورتها وتبليغها⁷. والأمر كذلك بالنسبة للموسيقى ولكلّ حقول المعرفة والإبداعات البشريّة المتّصلة بها.

وبالتالي يمكن القول أنّ البحث في موضوع الصّوت من حيث التكوين والوظيفة والغاية لا زال متواصلا وسيبقى كذلك طالما الانسان موجود في هذا الكون ينتج الصّوت ويتفاعل مع أصوات الطّبيعة في حدود قدراته الجسديّة والتّفسيّة والمعرفيّة.

عاش بين 12 نوفمبر 1915-25 Roland Barthes رولان بارت⁶
مارس 1980 منظر أدبي وفيلسوف وناقد فرنسي وأحد رواد علم
الإشارات. تنوعت أعماله لتغطي عدة مجالات وقد أثر على تطوّر مدارس
نظرية في كلّ من البنيوية، علم الإشارات والوجوديّة والنّظرية الاجتماعيّة
والماركسيّة وما بعد البنيوية.

بين تقنية التبليغ والية التلقي. وهران، جامعة وهران أحمد بن بلّة، الجزائر: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

• سميّر بشّة. (2020). محاضرة أسرار الموسيقى بين تعدد الخطاب والبحث عن المعنى. (علوم ثقافية، المحاور)

• عماد الزواري. (2023). الموسيقى والدماغ رحلة الصوت داخل الجهاز العصبي. صفاقس تونس: جامعة صفاقس.

• لقمان. (الآية 19). لقمان. القرآن الكريم.

• ماهر عباس الهلالي. (2023). الرّواكب الموسيقية الإفريقية في الثقافة الشعبية العُمانية. تونس: جامعة تونس.

• ماهر عباس الهلالي. (2024). الحدث الموسيقي بين الممارسة والعلوم. مجلة الموسيقى العمانيّة العدد 13.

• عماد الزّواري، الموسيقى والدماغ، وهو الشيء الظاهر والمرتبط بحدث ما أمّا من الناحية الصوتية الفيزيائية فهو رسم بياني ثنائي الأبعاد يمثل السعة والتّردّد (Amplitude)،

(Frequencies) للصوت... للمزيد راجع

<https://larousse.fr/dictionnaire/francais/spectre/74097>

. قائمة المراجع: طريقة (APA) باللغة الفرنسية:

• Pears, C. S. (1983). *La traduction est empruntée à PIERRE THIBAUT, La Notion peirceenne d'interprétation Dialectica. Vol 37, no.1, March.*

• Peggy. (2023). *Univers sonore et éducation musicale, Evenement: la 8eme édition de la "Semaine du son", (pp. http://www.lasemaineduson.org/le-programme-imprime-en-pdf,p3). France.*

• Shchneider, M. (1960). *Le rôle de la musique dans la mythologie et les rites des civilisations non européennes. Paris: Eyrolles.*

• STRAUSS, L. (1984). *Anthropologie structurale. Paris plon.*

باللغة العربية:

• الاسراء. (الآية 64). القرآن الكريم. الله تعالى.

• الحجرات. (الآية 2). القرآن الكريم. الله تعالى.

• حورية عيسى. (2016/2015). اطروحة

الدكتوراه بعنوان الخطاب الادبي في التراث العربي

- مولينو (جان)، مراحل التأويلية، ترجمة عبود كاسوحة، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، العدد الثامن المجلد الثاني ربيع 2014.